بسم الله الرحمن الرحيم

غَنَائِمُ الشَّهْرِ فِي إِحيَاءِ العَشْرِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَيَّزَ بَعْضَ الأَيَّامِ عَلَى بَعْضٍ بِما اختَصَّهَا مِنَ الفَضَـائِلِ، وأَنَـارَ بَعْضَ اللَّيَالِي بِما أَودَعَ فِيْهَا مِنْ عَظِيمِ الشَّمَائِلِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ لِعِبَادِهِ الاعتِكَافَ وَالصِّيَامَ، وَدَعَا إِلَى الخَيْرِ وَالذِّكْرِ وَالقِيَامِ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مُصَلٍ وأَخْلَصُ صَائِمٍ وأَصْدَقُ قَائِلٍ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى واعْمَلُوا بِما فيهِ رِضاهُ، واغتَنِمُوا فُرصَةَ هَذِهِ الأَيَّامِ القَلِيلَةِ البَاقِيَةِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(١)، واعلَمُوا – رَحِمكُمُ اللهُ – أَنَّكُم فِي مَوسِمٍ عَظِيمٍ، تَنزِلُ فِيهَا الرَّحَمَاتُ، وَتَعظُمُ فِيهَا أُجُورُ الطَّاعَاتِ، فإِذَا كَانَتِ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ؛ فَمَا بَالُكُمْ بِثَوَابِهَا فِي رَمَضَانَ؟ ثُمَّ مَا بَالُكُمْ بِالجَزَاءِ عَلَيْهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْه؟ ثُمَّ مَا بَالُكُمْ بِالعَطَاءِ عَلَيْهَا فِي لَيْـلَةٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؟ وَخَزَائِنُ اللهِ تَعَالَى مَلأَى لا تَنْفَدُ، فَهَلُمَّ بِنَا – إِخْوَةَ الإِيْمَانِ – إِلَى هَذَا الثَّوَابِ الجَزِيلِ، فِي هَذَا الشَّهْرِ الفَضِيلِ، وَلَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ، وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ، لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾(٢)، وَهِيَ اللَّيْـلَةُ المُبَارَكَةُ الَّتِي حَوَتْ مِنَ السُّمُوِّ وَالرِّفْعَةِ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ المَوْلَى تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾(٣)، لَيلَةٌ عَظِيمةٌ تَتَجلَّى عَظَمَتُها في ثَوابِ قِيامِها الَّذِي بَشَّرَ بِهِ رَسُولُنا الكَرِيمُ

(١) سورة البقرة / ١٩٧ .

(٢) سورة القدر / ١-٥ .

(٣) سورة الدخان / ٣-٤ .

ﷺ حينَ قَالَ: ((مَنْ قَامَ لَيلةَ القَدْرِ إيماناً واحتساباً غُفرَ لهُ ما تقدَّمَ منْ ذَنْبِهِ))، ولَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يَحْرِصُ عَلَى التِمَاسِهَا، وكَانَ يَحُثُّ أَصْحَابَهُ عَلَى طَلَبِهَا، وَيُخْبِرُهُمْ عَنْ ميقَاتِهَا بِقَولِهِ: ((التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ))، وقدْ سألتْ عائشةُ أمُّ المؤمنينَ رسولَ الله ﷺ : ما أقولُ إنْ وافقتُ ليلةَ القَدْرِ؟ فقالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((قُولي: اللهمَّ إنَّكَ عَفُوٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعفُ عَنِّي))، نَعَمْ وأيُّ شيءٍ أعظمُ منْ عَفْوِ اللهِ عَنْ عَبْدِهِ؟! إنَّهُ الفَرَجُ والرَّاحَةُ والسَّكِينَةُ والطُّمأنينةُ والسعادةُ الأبديَّةُ، فاحرِصُوا – رَحِمكمُ اللهُ – على الاجتهادِ للظفرِ بهذهِ اللَّيْلَةِ العَظِيمَةِ؛ فإنها فُرصةٌ لا تُعوَّضُ، وَجائزةٌ لا يُستَهانُ بِها، وفائدةٌ حَرِيٌ بِالعاقلِ أَلاَّ يَغفُلَ عَنْها.

فَيَا إِخْوَةَ الإِيمَانِ: تَعَالَوا بِنَا نَتَذَاكَرْ مَا يُمكِنُنا أداؤه مِنْ صَالِحَاتِ الأَعْمَالِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ ﷺ عِنْدَ دُخُولِ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنَ الاعتِكَافِ، وَهُوَ المُكْثُ فِي المَسْجِدِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ وَعَدَمُ الخُرُوجِ مِنْهُ إِلاَّ لِضَرُورَةٍ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ الاعتِكَافِ فِي سِيَاقِ بَيَانِ أَحْكَامِ الصِّيَامِ فِي قَولِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[1]، ومِنْ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي العَشْرِ المُقبِلَةِ: الاجتِهَادُ فِي العِبَادَةِ، بِقِيَامِ اللَّيْلِ وَالذِّكْرِ وَالتِّلاوَةِ، وَحِفْظُ آيَاتِ الكِتَابِ العَزِيزِ، وَتَعَلُّمُ العِلْمِ النَّافِعِ، وَشُهُودُ الصَّلَوَاتِ فِي الجَمَاعَةِ، وَالحِفَاظُ عَلَى السُّنَنِ والنوافل، والإِكْثَارُ مِنَ الاستِغْفَارِ وَالدُّعَاءِ، وقد قال تَعَالَى في آياتِ الصِّيَامِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2].

عِبَادَ اللهِ:

مَا أَكْثَرَ أَبْوَابَ البِرِّ وَالمَعْرُوفِ، فَهَنِيئًا لِمَنْ يَفْتَحُونَهَا، إِنَّهُمْ إِنْ فَتَحُوهَا أَفْضَتْ بِهِمْ إِلَى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[3]، وَمَنْ أَكْثَرَ الخُطَى إِلَى فِعْلِ

(١) سورة البقرة / ١٨٧ .

(٢) سورة البقرة / ١٨٦ .

(٣) سورة القمر / ٥٥ .

الحَسَنَاتِ؛ نَالَ مِنَ اللهِ عَظِيمَ الدَّرَجَاتِ، فَيَا لَلّهِ مَا أَسْعَدَ العَامِلِينَ بِرِضْوَانِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ يَوْمَ يُنَادِيهِمُ المُنَادِي: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١)، يَوْمَ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾(٢)، يَوْمَ يُسعِدُهُمُ الرَّحْمَنُ بِنَعِيمِ الجَنَّاتِ وَيَسْمَعُونَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾(٣)، عِنْدَهَا تَنْطَلِقُ الأَلْسِنَةُ بِحَمْدِ الرَّحْمَنِ المَنَّانِ عَلَى ذَلِكُمُ الرِّضْوَانِ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾(٤)، إِنَّهَا الخَيْرَاتُ الَّتِي سَارَعُوا إِلَيْهَا، وَالطَّاعَاتُ الَّتِي شَمَّرُوا لأَجْلِهَا، أَثْقَلَتِ المَوَازِينَ؛ فَكَانُوا مِنَ المُفْلِحِينَ.

فَاتَّقُوا اللهَ – يَا عِبَادَ اللهِ –، وَاعْمَلُوا صَالِحًا تَرْجُونَ جَزَاءَهُ عِنْدَ اللهِ، فَالمُوَفَّقُ السَّعِيدُ مَنْ عَمَرَ مَوْسِمَ العَشْرِ مِنْ رَمَضَانَ بِالطَّاعَاتِ، لِيَجْنِيَ ثِمَارَهَا فِي يَوْمٍ يُجَازَى فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا عَمِلَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ البَرِيَّاتِ، سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ لِنُزُولِ الرَّحَمَاتِ وَالبَرَكَاتِ، وَضَاعَفَ لِلْعَامِلِينَ فِيهَا الأَجْرَ وَالحَسَنَاتِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَن اجْتَهَدَ للهِ حَقَّ الاجتِهَادِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الغُرِّ الميَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ العشرَ الأواخرَ مَحطَّةٌ إيمانيةٌ في شَهْرِ الصَّومِ والقُرآنِ، بلْ هيَ منهُ كالتاجِ على الرأسِ، فيها يتنافسُ المتنافسونَ، ويتسابقُ إلى رضوانِ اللهِ وعَفْوِهِ التائبونَ،

(١) سورة الأعراف / ٤٣ .
(٢) سورة الحاقة / ٢٤ .
(٣) سورة الإنسان / ٢٢ .
(٤) سورة الزمر / ٧٤ .

تظهرُ فيها دلائلُ القَبُولُ لِما مَرَّ منَ العبادةِ في الأيـــامِ والليـــالي الماضـــيةِ، فتجـــدُ المُخلِصينَ قدِ ازدادَ نَشَاطُهم في العِبادَةِ، وتاقتْ نُفُوسُهمْ إلى الإنابةِ، مُتَأسِّينَ في ذلـــكَ برَسولِ اللهِ ﷺ ، إدراكاً منهمْ لحقيقةِ العَملِ، وطمعاً مِنْهُم في غَايةِ الأَملِ، تقولُ عائشةُ أمُّ المؤمنينَ – رَضِيَ اللهُ عَنْها –: ((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخلَ العَشْرَ شَدَّ مِئْـــزَرَهُ وأحيا ليلَهُ وأَيقَظَ أَهلَهُ))، فَرَحِمَ اللهُ امرءاً اقتَدَى بِرَسُولِهِ الكريمِ ﷺ ، واجتهـــدَ فـــي العبادةِ وتلاوةِ الذكرِ الحكيمِ، حِرصاً على نَيلِ الأجرِ والثَّوابِ العميمِ، وطَمعاً في عَفْوِ الوَهَّابِ الكَرِيمِ، فأينَ الحَرِيصُونَ علَى اغتنامِ الفُرَصِ؟ والجَادُّونَ في البَحـــثِ عَـــنْ رِضى اللهِ إِذَا غَفلَ الغَافِلُونَ وتَقَاعسَ المُتكَاسِلُونَ؟ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ، فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(١)، وما أَحْسَنَ وأفضلَ مِنْ أنْ يُعينَ أهلُ الـــدَّارِ بَعضُـــهمْ بَعْضاً علَى طَاعةِ اللهِ في كُلِّ وقتٍ وحِينٍ، خُصُوصاً في هَذِهِ الأَيَّامِ حتَّـــى يَتَعـــرَّضَ الجَميعِ للنَّفَحَاتِ، ويَفُوزُوا بِالنَّصيبِ الأوفرِ منَ الخَيْراتِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – يَا عِبَادَ اللهِ –، وَاحْرِصوا علَى أَنْ تَكُونَ سَاعَاتُكَم فِي الطَّاعَةِ أَكْثَـــرَ كُلَّمَا اقتَرَبَ الشَّهْرُ مِنَ الرَّحِيلِ، فَهِيَ أَوقَاتٌ تُضَاعَفُ فِيهَا الحَسَـــنَاتُ، وَتَكْثُـــرُ فِيهَـــا البَرَكَاتُ، فَهَلْ يُعْـــقَلُ أَنْ تَفُوتَكَم دُونَ أَنْ تَغْـــتَنِموا فَضَائِلَهَا، وَتَلْبَسوا حُلَلَهَا وَنَفَائِسَهَا؟

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًـــا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْـــدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ

(١) سورة النازعات / ٤٠-٤١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَعَمَلاً صَالِحًا، وَعِلْمًا نَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.